تقديم المشرف
الأستاذ الدكتور عماد الدين الرشيد

الحمد لله حق حمده، وصلاته وسلامه على خير خلقه، ومن سار على هديه.

وبعد:

فإن الله عز وجل هيأ لهذا الدين رجالاً قاموا بالذَّودِ عنه، وحفظِ علومِه، ولا سِيَّما ما يتعلق بجانب الرواية فيه، إذ إن ميراثنا عن الله كان الوحي من الكتاب والسنة، وهو الرواية عينُها.

أما الكتاب فقد صانه الله وحَفِظَه.

وأما السنة فقد هيأ لها المحدثين الذين وضعوا منهجاً نقدياً دقيقاً يصونها عن الدَّخيل، ويبين درجة المقبول منها، وكان هذا المنهج من الصرامةِ والموضوعيةِ بحيث تكون مردوديته عالية، فما يصدر عنه من أحكام القبول أو الرد تحتل من الوثوقية العلمية مكاناً كبيراً.

هذا ولا تتوقف مساحة عمل القانون النقدي الذي وضعه المحدثون عند الروايات النبوية؛ بل يتجاوز ذلك ليصلح للحكم على الخبر أيّاً كان مصدره شرعياً أو تاريخياً، أو كان خبراً في وسائل الإعلام، أو مما يجري على ألسنة الناس في المجتمع، مع ضرورة مراعاة مجال كل نوع من أنواع الخبر.

وليس من المبالغة أن يقال: إن منهج النقد الذي وضعه المحدثون يصلح لأن يضبط منفذ السمع لدى الإنسان.

وعلى الرغم من أن هذا المنهج قد استمد جزءاً كبيراً من قوته من دقة القوانين التي وضعها علماء هذا الشأن؛ فإنه استكمل هذه القوة من تراكم أعمال المحدثين وتحريراتهم عبر القرون المتطاولة، حتى غدا واضحاً للباحثين في هذا العصر إمكان أن تُصَاغَ من هذا المنهجِ رؤيةٌ متكاملةٌ تَضبطُ المنهجيةَ الإسلامية في جانبِ الرواية ومنفذ السمع عموماً، ولا سِيَّما أننا ندرك أن السمع أحد أهم مصادر المعرفة التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[النحل: ٧٨].

وبداية هذا التصور المتكامل لضبط ما يتعلق بمنفذ السمع في تشكيل المنهجية الإسلامية أن يولِّدَ الباحثون من منهجِ النقدِ الحديثيِّ نظرياتٍ صغيرةً أقرب ما تكون إلى ما يعرف لدى علماء الشريعةِ بالأشباه والنظائر، بحيث تجمع أحكام المسائل المتشابهة في هذه النظرية الصغيرة.

كما يمكن أن يُسهِمَ في الوصول إلى المنهجية الإسلامية استخراج الباحثين من قواعد علم الحديث المناهجَ البحثيَّةَ التي يقوم عليها هذا العلمُ الدقيقُ، كالاستقراءِ والمقارنةِ، إذ يقومُ البحثُ الحديثيُّ عليها بشكل شبه كليٍّ، والوصولُ إلى خصائصِ هذين المنهجين لدى علماء الحديث يُسهِّلُ هضمَ علم الحديثِ، ويَجعلُهُ أكثرَ قدرةً على التَّعميم من المجال الحديثي إلى مجال منفذ السمع بالجملة، وبالتالي إلى نظرية المعرفة الإسلامية التي تحدد منافذ المعرفة ووسائلها ومناهجها وضوابطها ومصادرها في الرؤية الإسلامية.

والبحث الذي بين يدينا من البحوث الجادَّة التي أراد مؤلفها الأستاذ الشيخ عبد الجواد حمام ـ حفظه الله وإخوانه من طلبة العلم ـ أن يسهم من خلالِهِ في

عماد الدين الرشيد

دمشق ٢٨ ربيع الأول ١٤٢هـ

٢٠٠٨/٤/٤م

❐ ❐ ❐